تحقيق فى الفجر

- وصيفة القصر تحرض حيدر ضدى وتنجح فى التأثير على الملك.
- تحقيق مع عضو فى الحزب الاشتراكى يكشف علاقة وجيه أباظة والبغدادى بالضباط الأحرار.
- طلبنا من أمريكا شراء سلاح فعرضت أن نوقع حلفا معها بعدم استخدامه فى الحرب.
- هل كان فاروق حقا رجلا بألف وجه؟

كان فاروق مجموعة غريبة من المتناقضات.. كان يتظاهر أنه كبير السن وهو لايزال شابا يافعا.. وكان يمثل دور شيوخ الدين وهو لا علاقة له بالدين..

وكان من الطبيعى – وعملى هو البحث والتنقيب – أن أعرف سر كل هذا.. ومن حسن الحظ أن وزارة الوفد كانت هى التى أصدرت تعليماتها بمراقبة تليفونات السيدة «نهى» وصيفة القصر.. وكانت جميع مكالماتها يتم إفراغها بنفس كلماتها وترسل إلىَّ.. واعترف أننى عن طريق هذه المكالمات استطعت أن أجمع الكثير من المعلومات وأعرف الكثير من الأسرار الخافية علىَّ والتى لم يكن من الممكن أن أعرفها إلا بهذه الوسيلة التى لم تكن من اختراعى ولكن الصدفة وحدها هى التى حملتها إلىَّ..

كنت عقب اكتشاف المطبعة التى تأكد أن اليوزباشى مصطفى واليوزباشى خالد يستخدمانها فى طبع المنشورات الخاصة بالضباط الأحرار قد أصدرت أوامرى بحجز مصطفى رهن التحقيق.

وفى الساعة الواحدة بعد ظهر نفس اليوم علمت نهى من صديق لمصطفى بنبأ التفتيش الذى حدث فى ثكنة المعادى واحتجاز مصطفى. وقال لها صديق مصطفى وكان من الضباط الأحرار إن مصطفى سيكون مصيره السجن حتما، وأن أمر الكثيرين سيفتضح وأن التحقيق سَيَجُرَّ – ولابد – إلى كشف أسرار كثيرة. وعليك أن تعملى شيئا وفورًا ونحن نعلم نفوذك على الملك. أسرعى يا سيدتى.

طار لب نهى فزعا. فحبيبها سيذهب إلى السجن. وكيف تكون حياتها وهو بعيد عنها؟ والملك الذى حطم آمالها فى أن تكون ملكة مصر، هل ينجو من انتقامها؟ إنها واثقة من أن مصطفى هو زعيم حركة الضباط الأحرار. لقد أقنعها بذلك بعد أن تأكد من كراهيتها وحقدها على الملك.

وها هو ذا يثبت أنه يطبع منشورات الضباط الأحرار وهناك احتمال كشف أمره فهل هناك برهان أكثر من ذلك على صدقه.. وهل تتحطم حركة مصطفى وينتهى أملها مع الملك القادم بعد أن تحطم أملها مع الملك القائم؟

وهـدأت قليلا وأخذت تفكر. هل أذهب إلى الملك وأحـاول تخليص مصطفى. وأبعدت هذا التفكير خشـية أن تزيد شكوكه التى بدأت تسـاوره من أن لها علاقة غرامية بمصطفى. إذن ماذا تفعل؟ وخطر لها خاطر صاحت معه. لقد وجدت الحل.

تناولت نهى التليفون وطلبت حيدر وكان فى مكتبه. فرد عليها بترحيب كبير. لما يعرفه من نفوذها لدى الملك. ومن واقع التسجيل أنقل المكالمة.

نهى: سمعت بنبأ تفتيش ثكنة المعادى؟

حيدر: نعم.

نهى: وكيف سمحت للبوليس بالتفتيش؟

حيدر: هو مش بوليس بس.. ده أصله وزير حربية كمان.

نهى: وهل أنت راض عن هذا التفتيش ؟

حيدر: لا . ولكن ماذا أصنع؟

نهـى: أنت الفريق حيدر. حيدر العظيم تقول لا أعرف وماذا أصنع؟ هل أصبحت تخاف من وزير الحربية؟

حيدر (متحمسا) أنا أخاف؟ ماذا تقولين يا نهى هانم. حيدر يخاف ؟

نهى: إذن، لماذا لا تحتج لدى الملك على مسلك الوزير؟

حيدر: ولكن المنشورات فيها طعن شديد بالملك وحض على الثورة.

نهـى: (وقدر طـار صوابهـا): ده كلام فارغ. لابـد أن البوليس هو الـذى دس المطبعة والمنشورات. إن الضباط المحتجزين هم أشد المخلصين لمولانا. أنا واثقة من ذلك.

أرجـوك اذهب إلى الملـك واطلب الإفراج عنهم فورًا واحتج علـى الإجراءات. واطلب منه عزل المراغى.

حيدر: ولم لا تسبقينى إليه وتقولين له هذا الكلام.

نهى: سأذهب فورا إليه. وعليك أن تتبعنى.

وذهبت نهى إلى الملك وذهب حيدر. وكانت النتيجة حديث الملك التليفونى معى:

ومنذ ذلك الوقت أصبحت أرى بوضوح العلامات وهى مكتوبة على جدران المستقبل. فالملك أصبحـت تتصرف فيه امرأة يطاوعها فى كل ما تشـير به. وقائد الجيش يتقبل توجيهاتها. فقررت أمرا ومضيت فيه.

تكوين فرق الأمن الخاصة

كنت قد اطلعت على تقرير عن فرقة منشأة فى إيطاليا منذ حوالى ثمانين عاما تسمى (الكارابنيرى) أو حملة البنادق. وهى قوة مسلحة وسط بين الجيش والبوليس. ووظيفة هذه القوة أن تعاون البوليس في حفظ الأمن. وكانت مسلحة بسلاح أقوى من سلاح البوليس وأضعف من سلاح الجيش ولعبت دورًا كبيرا فى إيطاليا. حتى إنها كانت تشترك فى الحرب. واستعين بها على خلع موسولينى ديكتاتور إيطاليا المعروف.

فكرت أن أنشىء فى مصر قوة مسلحة من هذا الطراز وكان قصدى أن أوجد توازنا بين القصر والحكومة. فالقصر يستعين بالجيش دائما على ارهاب الحكومة. فهو يقيل الوزارات ويفرض على الوزراء إرادته ويملى عليهم ما يريد، وغالبا لم تكن إرادته، بل إرادة حاشيته. وهى حاشية لا تشبع. إن لم تجد صفقات سلاح فإنها تبحث عن الاتجار بالمخدرات. وهناك امرأة تتحكم فيه وتخونه وتريد القضاء عليه. وهو يحبوها بعطفه. والجيش يضج صغار ضباطه ويكتبون المنشورات. وضباط البوليس غير راضين عن الملك وعن الجيش للإهانة التى ألحقها بهم الملك والجيش حين أضربوا مطالبين بزيادة أجورهم واعتصموا فى حديقة الأزبكية سنة ١٩٤٧ فأرسل الملك إليهم الجيش وحاصرهم ونالهم ذل شديد. كل ذلك حفزنى على أن أنشىء فرقة من نمط خاص لكى تستطيع الحكومة فى الوقت المناسب أن تلوح بها فى وجه الملك، ليقف عند حده هو وحاشيته. وفاتحت رئيس الوزراء نجيب الهلالى بالفكرة. ووافق عليها مدركا أغراضها. ولكن كان لابد من عرض الأمر على الملك. فأرسلت إليه مذكرة بأن هذه الفرقة ستكون مهمتها مقاومة عناصر الشغب ضاربا مثلا بحريق القاهرة - سواء أكانت هذه العناصر شيوعية أم إخوان مسلمين - أما الإخوان المسلمون فكان الأمر بالنسبة إليهم جادًا وحقيقة. إذ إنهم كانوا مسلحين تسليحا جيدا. وأما الشيوعيون فالحجة بالنسبة إليهم حجة واهية. إذ كانوا قلة لا يعتد بها، ولم يكن العنف فى برنامجهم.

ولكن كنت أعلم أن الملك لا يخشى إلا الشيوعية. ولعل الذى أفرغ ذلك فى ذهنه هو تستا المانيكير الإيطالى. وقد ضربت على ذلك الوتر الحساس لأنال موافقته. وقد نلتها.

بقى علىَّ أن أدبر السلاح اللازم للقوة. وكان مشروعى أن تكون مؤلفة من ثلاثين ألف رجل. عشرة آلاف منهم فى القاهرة. وعشرة آلاف فى طنطا والإسكندرية. وعشرة آلاف فى أسيوط. ورأيت أن يكون تسليحها على الوجه التالى: تسعون سيارة مصفحة ومركبات لحمل

الرشاشات الثقيلة، ومركبات تحمل الجنود المسلحين ببنادق أوتوماتيكية، ومركبات لحمل جنود البنادق العادية. وهليكوبترات. فالقوة كلها كانت ميكانيكية. ورأيت أن يكون اختيار القوة من جنود الجيش السابقين وسلاح الحدود وسلاح الهجانة. وأرسلنا ضباطا إلى السودان لإحضار جنود سلاح الحدود الذين انتهت خدماتهم.

وبقيت النقطة الهامة: من أين أطلب السلاح؟ إنى لا أريد أن أعيد مأساة الأسلحة الفاسدة. وخشيت أن تنتهز حاشية الملك الفرصة لتسرع إلى أسواق أوروبا. فقررت أن أطلبه من الحكومة الأمريكية. وكانت أمريكا هى التى تسلح أوروبا. واستدعيت السفير كافرى وشرحت له الأمر. فاستمع مليا ثم قال: إنها قوة ضخمة تكاد أن تكون حربية.

قلت: إنى محتاج إليها لمهام ضخمة.

قال: ولكننا لا نعطى هذا القدر من الأسلحة إلا لحلفائنا. كحلفائنا فى منظمة حلف الأطلنطى أو فى حلف شرق آسيا. وأنتم لستم حلفاءنا.

قلت: إننا لا نريدها لأغراض حربية.

قال: ولكنها قد تستخدم لأغراض حربية. إنكم لا تزالون فى حالة حرب مع إسرائيل.

قلت: إن هذه قوة لحفظ الأمن. ألم تسمع عن حريق القاهرة؟ هل استطاع البوليس أن يحفظ الأمن؟

قال: سأحاول أن أقنع حكومتى.

وعاد بعد أسبوع يقول إن حكومته تشترط أن توقع الحكومة المصرية معها ميثاق تحالف حتى تحصل على الأسلحة.

رفضت ذلك، وقلت: أريد الأسلحة بلا شروط.

فعاد إلىَّ بعد أسبوع وقال: إن حكومته متنازلة عن شرط الدخول فى التحالف، ولكنها تشترط على أن ينص العقد على ألا تستخدم الأسلحة فى أعمال حربية ضد أية دولة أخرى. ووافقت. وتم مشروع الاتفاق فى ٢٩/ ٤/ ١٩٥٢ وكان الذى تولى صياغة العقد هو الدكتور وحيد رأفت ولكن حتى قيام ثورة يوليو ٥٢ لم تكن هذه الأسلحة قد وصلت وكل ما عرفته هو أن الملحق العسكرى الأمريكى أخطر وزارة الداخلية أن حكومة الولايات المتحدة (وزارة التجارة) قد وافقت على إنتاج وتصدير ٤٢٥ عربة جيب ويلز و ٢٥٠ ناقلة فى الربع الثانى من سنة ١٩٥٢ أى مايو ويونيو و ١٥٠ ناقلة فى الربع الثالث، أى يوليو وأغسطس. ولم ترد أى إشارة من الأمريكان عن الترخيص بإرسال عربات مصفحة أو أسلحة. وقد احتج المرحوم

جمال عبد الناصر على أمريكا فى خطبة له بأنها أعطت حكومة الهلالى أسلحة ورفضت طلبا تقدم به إليها. وقد جرى معى تحقيق بعد الثورة فى معتقل أودعت فيه مع عدد كبير من الساسة والوزراء.

□□□

جاءنى ضابط وأنا نائم فى الساعة الثالثة صباحا. وأيقظنى قائلا:

تعال معى.

قلت إلى أين؟

قال: ليحقق معك.

قلت: فى هذه الساعة المتأخرة؟

قال: ليس هذا شأنى.

وأدركت أنهم قصدوا ذلك. ففى هذه الساعة يكون الفكر عاطلا راكدا، لايمكن جمع شتاته وحصره للإجابة عن الأسئلة.

وسألنى المحقق: لماذا أردت تكوين فرق الأمن الخاصة؟

قلت: لحفظ الأمن.

سأل المحقق: وهل حفظ الأمن يقتضى كل هذه القوة المسلحة؟

أجبت: حفظ الأمن يقتضى قوة مسلحة ضخمة دائما، وخصوصا فى الأوقات العصيبة.

سأل المحقق: مثل ماذا؟

قلت: مثل حريق القاهرة.

سأل المحقق: ولماذا تجند جنود أمن السودان؟

قلت: هؤلاء جنود سبق أن خدموا فى مصر.

سأل المحقق (بغيظ): ألم يكن لك غرض آخر؟

قلت: لا ولكنى وددت أن أعرف تصوركم لهذا الغرض.

سأل المحقق: ألم يكن غرضك إحباط حركة الضباط الأحرار.

قلت: ولما لا تفسر غرضى بعكس ذلك؟

ودام التحقيق على هذا النمط ليالى طويلة حتى ضاق صدرى من قلة النوم والإجهاد. فما أن بدأ التحقيق فى المرة الأخيرة حتى قلت:

اكتب يا حضرة المحقق.. لقد أردت من إنشاء هذه القوة أن أقوم بانقلاب كالذى قمتم به. وأنى فى هذا المعتقل لسبب واحد هو أنى فشلت ونجحتم أنتم.. ومن العجيب أنه بدت على أساريرهم علامات الارتياح والراحة ومن يومها انقطع التحقيق معى.

تحقيق يكشف وجيه أباظة وبغدادى

اعتقل البوليس محاميا يدعى الأستاذ جمال طولان، وهو عضو بارز فى الحزب الاشتراكى وجرى معه تحقيق فى يوم ١٠ مارس ١٩٥٢ بدأه المحقق بأن سأله عن موضوع الزجاجات الملتهبة التى قيل: إنها استخدمت فى إشعال حرائق القاهرة. وطلب منه أن يكتب تقريرا بنفسه. فرفض جمال طولان أن يكتب التقرير لأن فى ذلك خطورة عليه. ولكنه سيملى على المحقق ليكتب.

بدأ المحقق يعد نفسه للكتابة ولكنه فوجئ بجمال طولان يسأله: هل لوجيه أباظة علاقة بالقصر؟ وهل هو مكلف من القصر للقيام بأعمال معينة؟

قال المحقق: لا أظن أن لوجيه أباظة علاقة بالقصر.

قال جمال طولان: إذن أرجوك أن تكتب.

وبدأ المحقق يكتب ما يمليه عليه جمال طولان.. وكان مايلى:

«بعد إلغاء المعاهدة بحوالى أسبوعين، تم الاتصال بين جمال طولان وشخص عرف أنه ضابط فى الجيش برتبة البكباشى واسمه على، وكان مرتديا ملابس مدنية، وهو ممتلىء الجسم أبيض اللون وفى وجهه حمرة وله شارب كبير. كانت المقابلة فى هليوبوليس عند سينما روكسى. و نزل طولان من التاكسى ووجد الضابط بجوار سيارة صغيرة سوداء. وسأله الضابط:

هل أنت جمال ؟

فقال: نعم.

وركبا سيارة الضابط فى اتجاه سراى القبة. وفى مكان خال من المبانى وقفت السيارة وقال الضابط:

أنا معى هدية جميلة فى الدرج الخلفى للسيارة.

وفتح الضابط الدرج وأراه صندوقا فيه زجاجات ملتهبة، وحول الزجاجات نشارة خشب حتى لا تكسر وقال له:

إذا أردت الحصول على سلاح أيضا فتوجه إلى إدارة المخابرات، وهى تقع أمام الكلية الحربية واسأل عن ضابط اسمه عصمت، وهو على علم بقدومك.

وفى الساعة السابعة مساء توجه طولان إلى إدارة المخابرات، فوجد فى انتظاره ضابطا برتبة اليوزباشى قال له إن اسمه عصمت. ودخل إلى غرفة فيها ثلاثة ضباط. وتكلم عصمت معهم ثم خرج مباشرة مع جمال طولان فى سيارة لونها نبيذى إلى عمارة ضخمة. ودخلا إحدى شقق العمارة، فوجدا وجيه أباظة الذى قال له إن لديه ٢٠٠ زجاجة ملأى بالمواد الملتهبة، وأن معه بعض الضباط والصف ضباط فى غرفة العمليات الخاصة فى منيا القمح فى الشرقية.

وفى يوم آخر توجه طولان إلى منزل وجيه أباظة فى هليوبوليس وذكر اسم الشارع الذى فيه المنزل، وهو ٩ شارع سيدى جابر، وقال إنه حضر فى أثناء جلوسهم شخص أدخل حجرة أخرى. وبعد مدة استدعى وجيه أباظة جمال طولان وأدخله الغرفة وقال له: هذا بغدادى بك. وعرف فيما بعد أن اسمه الكامل عبد اللطيف البغدادى.

استوقف نظرى هذا التقرير وأطلت التفكير فيه: إنى أعلم أن وجيه أباظة هو من الضباط الأحرار. وأنه يقوم بعمليات فدائية ضد الإنجليز فى منطقة قنال السويس. والملك فاروق أعلن أنه تبرع للفدائيين بمبلغ ثلاثة آلاف جنيه.

وأن سؤال جمال طولان للمحقق فيه تخوف كبير من الكلام عن وجيه أباظة. لأنه يعلم بأن له صلة بالقصر. وإذ يطمئنه المحقق بالاً صلة لوجيه أباظة بالقصر يتكلم طولان عن حيازة أباظة وضباط من المخابرات للزجاجات الملتهبة ولأسلحة كثيرة تستلزم مبالغ طائلة للحصول عليها. ثم يلفت نظرى أكثر، ورود اسم عبد اللطيف البغدادى الذى كان اسمه واردا فى قائمة كبار الضباط الأحرار الذين قدم كشف باسمائهم إلى الملك، ولكن المخابرات الحربية برئاسة سيف اليزل وعلى صبرى نفت أى نشاط لهم. واقتنع حيدر وكذلك الملك. وزاد فى اقتناع الملك أن وصيفة القصر نهى كانت تقول له دائما إن حكاية الضباط الأحرار من اختراع رجال البوليس.

هذا التقرير جعلنى أفكر: هل وصل الضباط الأحرار إلى الملك عن طريق إقناعه بأنهم يقومون بعمل فدائى ضد الإنجليز فى قنال السويس؟ وبسبب كراهية الملك للإنجليز منذ حادث فبراير فإنه أمدهم بالأسلحة وبالمال؟ ولكن الزجاجات الملتهبة قد تلقى على الدبابات والعربات المصفحة مع مجازفة كبيرة بالحياة. والقاهرة أحرقت بالزجاجات الملتهبة. فهل لعب الملك فاروق مع الضباط الأحرار لعبة الفدائيين ليساعدوه على حرق القاهرة؟ ولعبوا هم عليه لعبتهم الكبرى. وتظاهروا بأنهم يخدمون هدفه من حرق القاهرة حتى يطيح بالوفد إطاحة لا يتسنى له بعدها أن يعود إلى الحكم فيركن إليهم ويثق بهم

وينتفى كل شك يكتب فى تقارير البوليس عنهم. إنها خدعة ماهرة ماكرة ولو أنها كانت باهظة الكلفة.. فقد دفع فاروق عرشه ثمنا لها.

مؤامرة الإطاحة بالهلالى

كان أحمد عبود يملك شركة السكر وشركة الأسمنت وشركة الفوسفات وشركة البواخر. وقيل إن مجموعة ثروته حوالى المائة مليون جنيه. أى إن دخله السنوى يبلغ على الأقل عشرة ملايين جنيه بينما دخل الفلاح هو ثلاثون جنيها فى السنة. ومع كل هذا، فإن أحمد عبود لم يكن يدفع الضرائب المستحقة عليه للخزانة. ولماذا؟ لأن بعض رؤساء الوزارات وأغلب وزراء الخزانة كانوا أعضاء فى مجالس إدارات شركاته. وجاءت وزارة الهلالى فى أوائل مارس ١٩٥٢ تحمل علم التطهير. تريد أن تطهر الإدارة من الفساد، وأن تصدر قانون من أين لك هذا. وأن تجعل كل شىء يسير على مايرام. كان الهلالى أمينا ونزيها. ولكنه كان يحمل لحزب الوفد كراهية شديدة، لأنه كان عضوا فيه وانفصل عنه. ولم يكن للهلالى حزب يستند إليه. وكانت كل قوته هى السراى. ولكن التطهير إذا دخل السراى خرج كل من يقيم فيها لا من الأبواب بل من النوافذ.

وقبل الملك برنامج الهلالى على أن يبدأ بالوفد وبالحكومة. أما إذا حاول الاقتراب من القصر، فعندئذ لكل مقام مقال. وبدأت يد الهلالى تمتد إلى أكبر صديق للوفد وللإنجليز معا وهو أحمد عبود. ولم يكن أحد من أعضاء وزارة الهلالى قد دخل مجالس شركات عبود. وقلبت دفاتر عبود، فوجد أنه ماطل الخزانة فى خمسة ملايين جنيه ضرائب.

وأنشب وزير الخزانة أظافره فى عنق عبود وطالبه بها. وأرسل إليه إنذارات على يد محضر بالدفع وإلا اتخذت اجراءات الحجز على امبراطوريته الواسعة.

وأخذ عبود يبحث عن مخلص. فكر فى الإنجليز. ولكنه عدل لأنه يعلم أن الإنجليز لن يساعدوه. فكر فى أن يأتى بمحامين مقتدرين يقيمون الإشكال تلو الإشكال. عسى أن يمضى وقت طويل تذهب معه حكومة الهلالى. ولكن الحكومة أخذت تضيق عليه الخناق. وكاد أن يصدر الأمر بالحجز على شركاته وأمواله سدادا للضرائب المتأخرة.

❑❑❑

١ – فـاروق انتظر قدوم ولى العهـد طويـلا.. ولكن سـعادته بعد ولادته لم تدم كثيرا .

٢ – أثناء إحدى زياراته الرسميـة بصحبـة إبراهيم عبد الهـادى والأمير محمد عبد المنعم .

٣ – فـاروق بمسـبحته الشـهيرة وعن يمينه أحمد ماهر

٤ – البغـدادى يـدلى بالحكم – محكمة الثورة .

٥ – وجيه أباظة .